

صالح خالص

أيام لها ما بعدها

لقد سجل التاريخ الحديث للشرق الأوسط انعطافا حادا منذ السادس من تشرين الاول المنصرم ، فقد اتجه سير الاحداث دون شك اتجاها جديدا لم يكن على الاقل واضحا من قبل ، وتبدلت كثير من القيم والمقاييس التي تقيم وتقاس بها ظواهر الحياة السياسية المختلفة .. بل وقد تغيرت جذريا كثير من النتائج التي توصل اليها العالم ، نتيجة تبدل الفرضيات التي قامت على اساسها هذه النتائج ..

وإذا كان هذا الانعطاف طبيعيا تماما بالنسبة لمن ينظر لتطور الاحداث التاريخية نظرة علمية ، وثق بالجماهير ، ويؤمن بطاقاتها الخلاقة التي لا تنفد عند حدود ، فإنه بدأ مفاجأة لنوي النظررة القصيرة المدودة الذين فقدوا الثقة بالشعب واستنتجوا من الانتصارات الاولى التي أحرزتها الامبريالية وعميلتها الصهيونية في المنطقة ، انها العامل الحاسم في تطور الاحداث وتقرير مصير المنطقة . لقد أثبتت هذه الايام ان أي تقدير صائب لمستقبل المنطقة يجب ان يضع في حسابه اولا وقبل كل شيء موقف الجماهير ومطامعها وآمالها وأمانها ، وطاقاتها الظاهرة والكامنة التي يمكن ان تنفجر في أية لحظة تنهأ فيها الظروف الملائمة .. وان أية محاولة لتقرير مصير الوطن العربي أو أي جزء منه بمعزل عن موقف الجماهير العربية وتجاهل دورها ، مصيره الاخفاق المحتم والفشل التريخ ..

ان انهيار الاوهام التي خلقتها الامبريالية وعميلتها الصهيونية منذ الايام الاولى للقتال في سيناء والجولان ، والنهوض المعنوي الرائع للجماهير العربية من المحيط الى الخليج ، وبروز ارادة القتال والكفاح العربية بأجلى صورها وأروع مظاهرها بمختلف الاشكال وعلى مختلف اليادين ، قد بدد أوهام القوى الامبريالية وعملائها ومزق خططهم وأجرهم على اعادة النظر فيها في ضوء المعطيات الجديدة التي فرضها تطور الاحداث . واذا كان من السابق لاوانه الحديث بأسباب عن الخطط الجديدة للامبريالية العالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ، فان الامر الذي لا شك فيه انها بدل أن تقصر جهودها على اللب بورقة واحدة ثبت خسرانها وهسي الصهيونية ، فانها ستبدل جهودها في حشد القوى الرجعية المحلية في الوطن العربي ، بشكل أكثر فعالية وحققا ، وزجها في المعركة لكبح ارادة الكفاح لدى الجماهير العربية الشعبية وتمزيق صفوفها ، وابعادها عن الاساليب الصحيحة في النضال لتحقيق اهدافها ومطامعها .

ولكن اذا كانت الامبريالية ستأخذ الدروس من هذه الايام الحاسمة لتبديل خططها وتكتيكاتها واساليبها ، فان الدروس التي ستتعلمها الجماهير والعبر التي تستخلصها ستكون دون شك ذات اثر خطير في مستقبل المعركة ضد الامبريالية وعميلتها الرجعية ، وفي مصير الحركة الوطنية واساليب كفاحها في جميع اجزاء الوطن العربي الكبير ..

انه لامتحان عسير ذلك الذي مرت وتمر به أنظمة الحكم العربية منذ السادس من تشرين الاول ، امتحان سيكون له ما بعده .. لقد كشفت هذه الايام الحقائق عارية دون تمويه ، ومزقت البرافع

المزوقة ، وكشفت الشعارات الزائفة ، وظهرت اعداء العرب بشكلهم الحقيقي ، ورسمت للجماهير العربية طريق النضال الصحيح ضد الامبريالية وذلك باجتثاث عملائها في الوطن العربي من الجذور والقائهم في مزيلة التاريخ .

لقد أظهرت هذه الايام الحاسمة في تاريخ العرب الحديث ، من هم اصدقاء العرب ومن هم اعداؤهم ؟ وما معنى السياسة الصائبة والسياسة الخاطئة ؟ وما هو المضمون الحقيقي لتضامن قوى الخير والحرية والسلام ضد قوى الاستغلال والاستعباد والشر ؟!

ان تشخيصا جديدا لمركز جميع القوى التي تتحرك على الساحة العربية سيكون ضرورة لا بد منها ، وستصدر الجماهير تبعا لذلك احكامها الفاعلة على عناصر الهزيمة والتراجع والخيبة والانتهازية ، وستعلمها دماء الضحايا وهدير المدافع وأزيز الطائرات أساليب الكفاح الفعالة ، وترسم لها طريق المستقبل الوضاء ، وتضعها في السبيل الصحيح لبناء مجتمع الغد المزدهر المتقدم .

ان تيجانا ستهتز ، وعروشنا ستصدع ، وقواعدنا للظلم والاستغلال ظن اصحابها انهم بمنجى عن العواصف والاعاصير ، ستتهار وتبتد تحت ضربات الجماهير ، ومراكز قوة اعداء الشعب لاستنزاف طاقته وتجهيد نشاطه ، ستتعطم وتتداعى وتفقد هيباء منثورا .. وبكلمة اخرى ان مجمل جهاز القهر والتسلط والارهاب الذي أقامته الامبريالية العالمية في الشرق الاوسط مستعينة بعمليتها الرجعية المحلية وربيبتها المدللة اسرائيل ، قد تمسدد وتداعت اركانه وسقطت طلاؤه وظهر ضعفه ، واصبح عاجزا تماما عن ان يخيف الشعب ويقف في وجهه . فقلعة الامبريالية الحصينة التي أقامها في قلب الوطن العربي ونسج حولها الاساطير والادهام لشل ارادة القتال والكفاح لدى الجماهير العربية ، قد ظهرت على حقيقتها قلعة من الورق ، لا يمكن ان تصمد امام الحزم والتصميم والارادة الواجبة .. والاعلال الخائفة التي أثقلت بها الشركات الاحتكارية أعناق شعوبنا في المشرق والمغرب ، تبين انها اوهى من خيوط العنكبوت امام عزم الشعب العربي ، واستعداده للتضحية والبذل وطاقته على الثبات والصمود .. اما عملاء الامبريالية وصنائع الاستعمار الذين كانوا يتمتعون بالحول والطول ، فلم يبق امامهم سوى تملق الجماهير واسترداد عطفها بما يمكن ان يتظاهروا بتقديمه من اسهامات في المعركة .

نعم اننا في بداية انعطاف تاريخي مهم ، وعلى اعتاب تحولات تاريخية خطيرة ، لان كثيرا من الفرضيات التي وضعت في السنين السابقة قد افتتت هذه الايام تماما ، وثبتت مكانها حقائق جديدة لم يعد يتطرق اليها الشك .. كما ان ضراوة المعركة واتساع مداها القومي قد اعطاها شكلها الحقيقي ، معركة بين الامبريالية الصالية من جهة والامة العربية بكاملها والى جانبها قوى التحرر في العالم كله من الجهة الاخرى .

على ان وجود هذا الانعطاف التاريخي الجديد لا يعني انه كان مفاجأة للحركة الوطنية الثورية في الوطن العربي .. بل ان الامر على العكس من ذلك تماما ، فقد جاءت الايام الاخيرة لتبرهن على صحة الخط الذي كانت تسير فيه الحركة الوطنية التقدمية في العالم العربي وفي مقدمتها السلطة الثورية في العراق التي رفعت شعارات الوحدة الوطنية ونظف العرب للعرب ، والتحاليف المتيسر مع قوى التحرر والتقدم في العالم ، وعدم مهادنة الاستعمار بساي

أمن ما في العالم اليوم ، نمتلك دمه وطاقته على البقاء وهو النفط ، وأنه يكفي ان نلوح باستعمال هذا السلاح لكي تهتز أكبر الدول الصناعية وأكثرها بطشا وجيروتا وتلتبس رضى العرب وصدقتهم . وان اليوم الذي كانت تستطيع فيه الدول الاستعمارية الكبرى فرض ارادتها بالصف والقوة قد ولى دون رجعة ... وثانيها ان البشرية التقدمية كلها معنا وهي قوة هائلة لا يمكن ان يستهان بها ... وثالثها ان طاقات شعبنا على القتال والصمود هائلة جبارة لا يمكن ان تقف عند حد ، وان بإمكانها ان تحقق النصر الكامل ان لم يكن اليوم ففدا اذا توفرت لها القيادة الصالحة والإمكانات اللازمة ... ورابعها ان قوة عدونا خرافة حاولت الدعاية الاستعمارية الصهيونية اقتناعنا بها .. وان عشرة ايام من القتال كانت كافية لان يتهاوى على ركبته من الاعياء ويتهاك في طلب إيقاف النار ليتنظف أنفاسه ويستعيد قواه المتصدعة .

ان الحقائق الجديدة التي كشفت عنها أحداث الشهر المنصرم قد غيرت خريطة المستقبل في انظار العالم كله ، ولا سيما في انظار الجماهير العربية ، بل لا نبالغ اذا قلنا ان مصير اسرائيل ، الدولة المصطنعة ، العديمة الموارد ، القائمة أصلا على القصب والعدوان والوعن الاستعماري ، قد تقرر منذ الآن بشكل واضح لا مجال للشك فيه .. ومهما يبدو في قولنا هذا من تفاؤل فان دراسة معمقة لمعطيات شهر تشرين الاول ذات الدلالات الكبيرة والظروف التي تلتها لا يمكن الا ان توصلنا الى هذه النتيجة ..

ومع انجلاء ضباب الاوهام والخرافات الذي سيطر على الجو النفسي والفكري الذي ساد بعد نكسة حزيران ، وانكشاف المستقبل على حقيقته امام الافكار والانظار .. فان انطلاقة فكرية وفنية وأدبية لا بد ان تكون على الابواب في العالم العربي .

وكما اننا امام منعطف تاريخي في حياتنا السياسية ، فان هذا الانعطاف لن يكون اقل أهمية في حياتنا الفكرية والفنية والأدبية . واذ كان الجيل القديم سيجد صعوبة في التكيف لمعطيات الظروف السياسية والنفسية الجديدة ، فان الجيل الجديد سيحمل دون شك راية الفن الجماهيري الجديد ، فن الثقة بالنفس ، الثقة بالشعب ، الثقة بالمستقبل .. فن القوة والعزم والتفاؤل .. فن المنتصرين لا فن الخائبيين المنحدرين ..

صلاح خالص

بفداد

دار الطليعة تقدم :

الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية

جورج طرابيشي

« بصراحة أعترف لك بصدق بصيرتك وقوة استدلالك ، ولك أن تنشر عني بأن تفسيرك للأعمال التي عرضتها هو أصدق التفسير بالنسبة الى مؤلفها » .

- نجيب محفوظ -

من رسالة الى المؤلف

شكل كان ، واعتماد أسلوب الكفاح المسلح أسلوبا أساسيا في المعركة ، ونقلت هذه الشعارات الى الواقع بافامة الجبهة الوطنية وعلان بيان آذار وتأميم شركة نفط العراق وحصة الشركات الاميركية والهولندية في نفط البصرة وعقد معاهدة التعاون والصدقة مع الاتحاد السوفياتي والقاء كل ثقلها وامكاناتها العسكرية في المعركة .. وجاءت هذه التجربة العسيرة الحاسمة لتثبت للجماهير العربية في كل مكان صحة هذه السياسة وسلامة هذه الشعارات ، ولتؤكد ان أي طريق آخر لن يؤدي الا الى التفريط بالمصالح الوطنية والقومية ويفتح الثغرات لتسرب النفوذ الامبريالي الرجعي الى وطننا العزيز . ان التاريخ سيسجل بحروف من نور للحكم الوطني في المسراق موقفه هذا ، كما سيسجل مواقف من يسرون في عكس هذا الطريق .

لا شك ان التاريخ سيكون قاسيا في حكمه ، وان الجماهير العربية لن تفتقر لاولئك الذين يفرطون بمصالحها ، ويتوانون عن نصرتها ويمدون أيديهم الى أعدائها ، بل سيكون حسابهم عسيرا عندما تبدأ المعركة وتصفى حساباتها ويفرز حشفا من ترهسا .. عندئذ ستبيض وجوه وستسود وجوه ، ويكون الحكم للشعب . ولن يقتصر هذا الحكم على السياسيين فحسب ، بل سيتناول الفنانين والادباء ورجال الفكر ايضا .

واذا كانت نكسة ١٩٦٧ قد زرعت بين الجماهير العربية بنور اليأس والشعور بالعجز والضياع ، فان الحرب النفسية التي شنتها القوى الامبريالية وعميلتها الصهيونية العالية والرجعية العربية قد حاولت تغذية هذه البذور وتنميتها وانعاشها مستخدمة لمعطيات تلك الايام الستة المظلمة أسوأ استعمال .. ومع ان روح الصمود التي تمثلت على وجه الخصوص في المقاومة الفلسطينية الجاسلة والحركات الوطنية الثورية في الوطن العربي لم تنطفئ ، رغم الظروف العسيرة التي مرت بها ، فان غيوم النكسة كانت تثقل بكلكلها على النفوس وتملا بهومها القلوب ، ولا سيما نفوس وقلوب المثقفين ، الذين وضعتهم أكثر أنظمة الحكم العربية على هامش الحياة .. وحجب الحقيقة عن انظارهم ضباب الأحداث .

لقد انعكس هذا الوضع النفسي بأجلى صورته في أدب ما بعد النكسة ولا سيما في الشعر .. واذ أخذنا المهرجانات الأدبية والشعرية التي انعقدت بعد النكسة ، مثل المهرجانات الشعرية التي صاحبت مؤتمرات الادباء العرب ومهرجانات الربيع وأبي تمام في العراق وغير ذلك من المناسبات ، نماذج واضحة لأدب هذه الفترة .. فانها تعبر - عدا استثناءات قليلة - عن انتكاسات نفسية وفكرية وفنية ، كان أهم آثارها ونتائجها انقسام واضح بين الادب والجماهير ، وعجز بيّن عن اسهام الادب اسهاما فصلا في المعركة .. وكان سبب ذلك دون شك بعض الافتراضات الخاطئة التي فرضتها النكسة وغذتها الدعاية الاستعمارية والصهيونية ، والتي تغطي الدور الاساسي الحاسم في حل مشاكل الوطن العربي وفي مقدمتها القضية الفلسطينية للولايات المتحدة الاميركية وعميلتها اسرائيل باعتبارهما القوة التي لا تقهر ، وتقلل من أهمية وفعالية الطاقات التي تملكها الجماهير العربية وقوى التحرر في العالم ... وما دام الامر كذلك فليس امامنا سوى الشكوى والبكاء والقاء اللوم على الاقدار ، وانتظار الرحمة من أعدائنا الذين عسى ان يهديهم الله سواء السبيل ، فيعيدوا لنا حقتنا او جزءا منه على الاقل ... ان من الطبيعي ان مستقبلا أسود وغدا ملغما بالضباب وخيبة مريرة ويأسا غامرا لا يمكن ان توحى بادب مشرق وشعر نابض بالامل والحياة .

ولكن أحداث الشهر المنصرم (شهر تشرين الاول) بعنفها وقسوتها ، بدمائها وشهادتها ، بما أحدثته من هزة في العالم من اقاصه الى اقاصه ، ازلت الضباب عن الحاضر والمستقبل ، وفندت الفرضيات السابقة وثبتت مكانها حقائق لا تحصى .. اولها اننا نمتلك